

بحث علمي الإعجاز الاقتصادي - حكمة تحريم الربا (كنموذج)

إعداد

الباحثة: فردوس هاشم عبد المشهداني
ماجستير اقتصاد إسلامي

Scientific research
The Economy Unique- wisdom of forbidding usury
as an example

Firdaws Hashim Abid Al Mishhidani
Ma. Islamic Economy

Conclusion

- ١- The Holly Quran is an unique from all its aspects one of those aspects is the Unique Economy.
- ٢- The holly Quran came down with rules to reforms the society and the individual ..and push away the sins from them. One of those forbidden is usury (Reba) – to prevent people not to deal with it where it consists many unfairness and devour people debts ,,and that what Muslims considered that in early Islam era .
- ٣- The scientists and economy experts convinced today, the usury bad effects on economy, society and individual ,thus it confirm that Allah rule for usury is unique and nobody can bring a rule like

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الإسلام منهج شامل لكافة جوانب الحياة عقيدة وشريعة وأخلاقاً، ديناً ودولة، يمزج بين المادية والروحانية في إطار متوازن.

ولقد تبين يقيناً وحقاً أن في الإسلام نظاماً اقتصادياً فريداً معجزاً يتسم بخصائص إيمانية وأخلاقية وسلوكية لا توجد في أي نظام اقتصادي وضعي، كما أنه ينضبط بمجموعة من الأحكام والمبادئ الشرعية المستنبطة من مصادر الشريعة الإسلامية وأنه صالح للتطبيق في كل زمان ومكان.

وكان رسول الله ﷺ مدرسة جامعة لكل جوانب الحياة ما ترك صغيرة ولا كبيرة إلا بينها قولاً وعملاً منهجاً وسلوكاً، وقدم ﷺ الأدلة الدامغة بأن الإسلام دينٌ شاملٌ ومنهج حياة، وهو عبادات ومعاملات يقول ﷺ ((تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما مسكتم بهما، كتاب الله وسنة نبيه))^(١)، ومن يدرس حياة الرسول ﷺ يجد فيها منهجاً اقتصادياً كاملاً يقوم على مجموعة من الأحكام والمبادئ العلمية والنماذج العملية والضوابط الشرعية التي تمثل الإطار الفكري والعملية للاقتصاد الإسلامي الذي يمثل الفطرة السليمة والسوية التي فطر الله الناس عليها.

لقد بلغ العلماء المسلمون في عصرنا الحاضر مبالغ عظيمة في بحثهم موضوع الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وتبحروا في مواضيع متعددة كنتيجة طبيعية لشمولية الهدى القرآني والنبوي، ومن هذا ما يطيب للكثيرين تسميته (الإعجاز الاقتصادي في القرآن).

وبين أيدينا مسألة مهمة جداً، ألا وهي الربا فالإسلام شدد في تحريم الربا وغلظ في عقوبته، لذلك كان علينا كباحثين في الاقتصاد الإسلامي بيان السبب المعقول من هذا التحريم والتغليظ، عن طريق البحث عن الحكمة الاقتصادية لتحريم

(١) رواه مالك في الموطأ ٨٩٢/٢٠ ، ط ٢ عيسى البابي الحلبي - مصر.

الربا واثّر ذلك على المتغيرات الاقتصادية الكلية، والتي إذا ما فسرت بها الآيات المختارة وصلنا إلى الإعجاز الاقتصادي، نسأل الله التوفيق والسداد في مبتغانا. وقد قسم البحث إلى سبعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الإعجاز وإثباته وتعريف الاقتصاد لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني: الإعجاز الاقتصادي - تعريفه - حقيقة وجوده.

المطلب الثالث: الربا - تعريفه - أنواعه - حكمه

المطلب الرابع: الربا والنقود

المطلب الخامس: مضار الربا على الاقتصاد والمجتمع والفرد

المطلب السادس: شبه تبرير الربا والردّ عليها

المطلب السابع: الغرب والفائدة والأزمة المالية العالمية المعاصرة

الخاتمة: وقد تضمنت نتائج البحث وأهم المقترحات والتوصيات

وأخيراً مصادر البحث ثم الفهرس.

المطلب الأول

تعريف الإعجاز وإثباته

الإعجاز: إثبات العجز، والعجز في التعارف اسم للقصور عن فعل الشيء. وهو ضد القدرة، وإذا ثبت الإعجاز ظهرت قدرة المعجز، والمراد بالإعجاز هنا: إظهار صدق النبي ﷺ في دعوة الرسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة - وهي القرآن - وعجز الأجيال بعدهم.

والمعجزة: أمرٌ خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة.

والقرآن الكريم تحدى به النبي ﷺ العرب وقد عجزوا عن معارضته مع طول باعهم في الفصاحة والبلاغة ومثل هذا لا يكون إلا معجزة.

فقد ثبت أن الرسول ﷺ تحدى العرب بالقرآن على مراحل ثلاث:

خالقه ومدبره، وهو ما أجمله القرآن إذ أشار إليه فصار القرآن بهذا معجزاً للإنسانية كافة.^(١)

تعريف الاقتصاد لغة واصطلاحاً

الاقتصاد لغة:

هو إتيان الشيء، تقول: قصدته، وقصدت إليه، وقصد له، وقصدت قصده: نحوت نحوه. والاقتصاد يعني أيضاً القصد: أي التوسط والاعتدال، ومنه قوله تعالى $U \bar{U} M$ LY ^(٢) وقوله عز وجل: $M @ ? LA$ ^(٣)، ومنه أيضاً قوله ﷺ (مأعمال من اقتصد)^(٤).

الاقتصاد اصطلاحاً:

فهو (دراسة سلوك الإنسان في إدارة الموارد النادرة وتتميتها لإشباع حاجاته)^(٥)، وقد عرفه البعض بأنه (العلم الذي يبحث في الثروة والإنتاج والتوزيع والقوانين والنظريات المؤثرة فيه).

فهو يتناول بنظرياته وقوانينه تفسير مجريات الحياة الاقتصادية وظواهرها، وأحداثها، ومن ثم ربط هذه الظواهر بالعوامل والأسباب التي تؤثر فيها، وتتحكم فيها، وبما أن هدف علم الاقتصاد حل المشاكل الاقتصادية فيمكننا أن نخلص إلى تعريف مختصر لعلم الاقتصاد بأنه (العلم الذي يبحث في كيفية حل المشاكل الاقتصادية للجنس البشري)^(٦). إن النظام الاقتصادي يعني (الكيفية التي يتعين على المجتمع البشري إتباعها لحل المشكلات الاقتصادية).

(١) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، الرسالة - بيروت - لبنان ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

ط ٣٥ ص ٢٣٦ - ٢٣٨.

(٢) سورة لقمان: من الآية ١٩

(٣) سورة المائدة: من الآية ٦٦

(٤) الجامع الصغير. السيوطي. الباب الحلي - مصر. ط ٤، ١٩٥٤م، ١٤٦/٢ وقال حديث حسن.

(٥) مبادئ الاقتصاد الكلي. د. صالح خصاونة، المكتبة الوطنية، عمان، ط ٢ - ١٩٨١ ص ٥٠.

(٦) ضوابط تنظيم الاقتصاد في السوق الإسلامي. د. غازي عناية. دار النفائس، الأردن ط ١

١٩٩٢ ص ٧.

لذلك فإن النظام الاقتصادي يرتبط بالأفكار والمفاهيم و المبادئ السائدة في المجتمع، ذلك لان الكيفية المتبعة في حل المشكلات الاقتصادية محددة بهذه المبادئ.^(١)

فمفهوم النظام الاقتصادي الإسلامي هو (مجموعة الأصول والمبادئ العامة الاقتصادية الثابتة والمستخرجة من القرآن والسنة، ومجموعة التطبيقات المستندة إلى تلك الأصول والمبادئ العامة التي تحكم الحياة الاقتصادية للمجتمع الإسلامي)^(٢)

وهكذا نرى أن أهم ما يميز الاقتصاد الإسلامي انه رباني المصدر Y Ü M

.^(٣)La äã â à ßP

فالاقتصاد الإسلامي هو جزء من الدين الإسلامي الذي تعبدنا الله به وأمرنا بإقامة خلافة الله على الأرض من خلاله.

المطلب الثاني

الإعجاز الاقتصادي تعريفه. وجوده

للإعجاز وجوه كثيرة لا حصر لها ولا نهاية.

وذكر منها العلماء: الإخبار عن الغيوب المستقبلية^(٤)، وجمعه لعلوم ومعارف لم يجمعها كتاب من الكتب، ولا احتاط بعلمها احد، في كلمات قليلة، وأحرف معدودة^(٥). ومن وجوه الإعجاز الحديثة، بل والقديمة أيضاً، ما عرف بالإعجاز العلمي. وذهب المراغي إلى أن ذلك لا يعني أن القرآن قد اشتمل على جميع العلوم جملة وتفصيلاً، إنما المعنى انه أتى بأصول عامة لكل ما يهم الإنسان معرفته لصالح الدين وإعمار الدنيا^(٦)

(١) المصدر نفسه ص ٧.

(٢) الأصول العامة للاقتصاد الإسلامي. د. غازي عناية. دار الجيل-بيروت ط ١ ١٩٩١ ص ٣٥

(٣) سورة النمل: من الآية ٨٨ .

(٤) الإتيقان ٨/٤

(٥) المصدر نفسه ٢٠/٤

(٦) التفسير العلمي ص ١٢٨

إن كل ما يكتبه العلماء والمتخصصون في الاقتصاد الإسلامي إنما هو في نهاية المطاف شرح للسنة وتفسير للقرآن، فمن أنكر الإعجاز الاقتصادي فعليه أن ينكر الاقتصاد الإسلامي من أصله.

والقرآن الكريم هو أصل نهضة المسلمين في جميع النواحي - الإنسانية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والخلقية فهو كتاب الهداية للبشرية.

قال الله تعالى M À Á Ã Ä Å Æ Ç È É Ê Ë^(١)،

وقال تعالى M S T U V X Y Z { L^(٢).

ولعل نموذج تحريم الربا والحكمة منه تعد من باب الحقائق والقوانين الاقتصادية التي إذا ما فسرت بها الآيات المختارة وصلنا إلى الإعجاز الاقتصادي ولم نقف عند حد التفسير الاقتصادي، فيجب أن لا نخلط بين التفسير والإعجاز، فمرتبة الإعجاز أعلى من مرتبة التفسير^(٣).

المطلب الثالث

الربا - تعريفه - أنواعه - حكمه

الربا - لغة: الزيادة والنماء، يقال: ربا الشيء يربو، إذا زاد. ومنه قوله

تعالى M وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبَا لِيَرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ^(٤)، أي ليكثروا في أموال

أموال الناس فلا يربو عند الله، ومنه قوله تعالى M ؛ ¥ ¤ £ ¢

(١) سورة فصلت من الآية ٥٢.

(٢) سورة العنكبوت آية ٤٣.

(٣) من الإعجاز العلمي إلى الإعجاز الاقتصادي. د. رفيق يونس المصري . مركز أبحاث الاقتصاد الإسلامي - جامعة الملك عبد العزيز، ٢٠٠٥/٢/٩ م .

(٤) سورة الروم من الآية ٣٩.

LS^(١)، أي أزيد عدداً وأوفر مالاً، وحيثما وردت مشتقات هذه الكلمة (ربا) في القرآن فإنها تشمل على معنى من معاني النمو والعلو^(٢).

والذي يظهر من هذه الآيات وغيرها أن كل زيادة تحصل على رأس المال يقال لها ربا إلا أن القرآن لا يحرم كل زيادة من حيث هي فإن الزيادة تحصل في التجارة أيضاً، بل الزيادة التي ورد تحريمها في القرآن هي من نوع خاص وهو يسميها (ربا) وبهذا الاسم الاصطلاحي كانت هذه الصورة الخاصة من التعامل تعرف قبل الإسلام، ولكن ما كانت العرب إذ ذاك تفرق بين البيع والربا وكانت تحسبها من نوع واحد كما عليه الحال في زماننا الحاضر. فجاء الإسلام وبيّن للناس أن الزيادة التي تحصل على رأس المال بالبيع مختلفة عن التي تحصل على رأس المال بالربا. وأن الأولى مشروعة والثانية غير مشروعة.^(٣) M / 0 2 1 3 4 5 7 8 9 : L^(٤)

أما الربا في اصطلاح الفقهاء: الزيادة في أشياء مخصوصة^(٥) أو هو عقد على عوض مخصوص غير معلوم التماثل في معيار الشرع حالة العقد، أو مع تأخير في البديلين أو احدهما^(٦).

أو فضل بلا عوض في معاوضة مال بمال^(١). ومن هنا نرى أن التعاريف تدور حول الزيادة وقد يطلق الربا على كل بيع محرم^(٢).

(١) النحل من الآية ٩٢.

(٢) لسان العرب لابن منظور - دار صادر - بيروت - ط ١ منقحة ٩١/٦.

(٣) الربا لأبي الأعلى المودودي. تعريب محمد عاصم حداد. دار الفكر - دمشق د(ط.ت) ص ٧٩.

(٤) سورة البقرة من الآية ٢٧٥.

(٥) انظر المغني مع الشرح الكبير لابن قدامة المقدسي الحنبلي. تحقيق د. محمد شرف الدين خطاب، د.م. السيد محمد السيد دار الحديث - القاهرة ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م. ص ٣/٤.

(٦) أنظر مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج للشيخ شمس الدين محمد بن محمد الخطيب الشربيني، دار المعرفة - بيروت، ط ٢. ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ٣٠/٢.

حكم الربا

لقد جاء تحريم الربا قبل الإسلام في اليهودية وغيرها من شرائع العهد القديم وذلك واضح من قوله تعالى $M \pm 3 2 \mu^{(3)}$ ، إلا إن اليهود حرفوا فحرموه بينهم وأباحوه مع غيرهم $M \alpha \mu \text{ ; } \textcircled{\cdot} \text{ a } \ll \text{ - } \textcircled{\cdot} \text{ - } \circ$ ، ثم جاء الإسلام مؤكداً ذلك التحريم الوارد في الديانات السابقة مشدداً فيه.

وإذا أمعنا النظر في القرآن الكريم وكذلك الحال في السنة النبوية المطهرة نجد انه قد نهى عن كثير من المنكرات وشدد الوعيد في بعضها، لكن الكلمات التي جاء بها لإعلان حرمة الربا أشد وأكد من الكلمات التي أوردتها للنهي عن سائر المنكرات والمعاصي.

فقد قال الله تعالى في سورة الروم M وَمَاءً آتَيْتُم مِّن رَّبِّا لَّيْرُبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ المولى جلت قدرته للربا وتحسينه للزكاة والبر، وهذا يدل على التحريم بضمه، وان لم تكن الدلالة صريحة قاطعة.^(٦)

(١) انظر تبين الحقائق للزيلعي. دار الكتب العلمية- بيروت، ط. ١/ ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٢م. ٤٦٤/٤.

(٢) ذكر ذلك الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري (يطلق الربا على كل بيع محرم) وكلام الصحابة في تسمية ذلك ربا كثير. ٢٦٩/٥.

(٣) سورة النساء من الآية ١٦١.

(٤) سورة آل عمران من الآية ٧٥.

(٥) سورة الروم آية ٣٩.

(٦) بحوث في الربا. الإمام محمد أبو زهرة. دار الفكر العربي - مصر ١٩٩٩ ص ١٦.

وجاء في سورة آل عمران قوله تعالى M ° » ¼ ½ ¾ ن À

(١) LAE À ÄÃ Ä

ففي هذه الآية دلالة قاطعة على تحريم الربا، وبيان قبحه وما فيه من ظلم شديد يؤدي إلى أن يأخذ الدائن الدين أضعافاً مضاعفة، والقرآن يصف المنهي عنه بأشنع أحواله وأشد ما يؤدي إليه تنفيراً عن المعاملة به، وكون الربا يؤدي إلى أداء الديون مضاعفة واضح في حالة عجز المدين عن الأداء وتوالي ذلك العجز سنة بعد سنة.^(٢)

و قوله تعالى في سورة البقرة M ! " # \$ % & ' () * +

@? > = < : 9 8 7 6 4 3 2 1 0 / . - , +

T S R Q P N M L K J H G F E D C B A

f e d c b a ` _ ^] \ [Z X W V U

v u t s r q p o n m l k j i h g

- ® « a © ¨ § | ¥ ¤ ءَامُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ٣٢ ± °

(٣) L¶ μ 32 ± °

فيا للهول! حرب من الله ورسوله... حرب تواجهها النفس البشرية... حرب رهيبية معروفة المصير، مقررة العقاب.. فأين الإنسان الضعيف الفاني من تلك القوة الجبارة الساحقة الماحقة؟!^(٤)

(١) سورة آل عمران آية ١٣٠.

(٢) أنظر تفسير ابن كثير، ط مطبعة السعادة في القاهرة، ٤٠٤/١.

(٣) سورة البقرة آية ٢٧٨-٢٧٩.

(٤) تفسير آيات الربا . سيد قطب . دار البحوث العلمية ص ٣٩.

المطلب الرابع

الربا والنقود

إن من أعظم الأشياء التي قامت البشرية بابتكارها هي النقود بديلاً عن نظام المقايضة فأصبحت بذلك النقود معياراً للقيم وأداة للحساب والمبادلات وإبراء الذم، لكن من غير المنطقي أن يتم تبادل النقود في المجتمع دون أن تنتقل بواسطتها سلع وخدمات^(١).

لقد ظلت النقود ملتصقة بالربا منذ أربعة آلاف سنة، وظل الناس يتعاملون معاملات ربوية دون أن يدركوا سبب ذلك وان أدركوا سوء مغيبته^(٢).

إن خرافة الربا نشأت عن عدم فهم وظائف النقود، وكثير من الاقتصاديين يعرفون النقود بوظائفها، ولكن هذه الوظائف صفات أضفيناها نحن عليها، وليست كلها مستقيمة مع حقيقة ما جعلت النقود من أجله، فالنقود كما ذكرنا إنما وجدت لتمكين الأفراد من تبادل فائض إنتاجهم بفائض إنتاج الآخرين وللتغلب على نقائص المعاوضة أو المبادلة العينية، وأما ما عدا ذلك فهو من خيال الناس.

حين نقرر أن النقود ضرورة تقتضيها متطلبات الحضارة والتخصص في الإنتاج، وحين نوقن بان التخصص يعني تمكين الفرد من بيع الفائض من إنتاجه، ثم الحصول على ما يحتاج إليه من طيبات عن طريق شراء هذه الطيبات، يجب إن يستقر في الأذهان إن عملية المبادلة لا تتم إلا إذا تمت عمليتان:

أ- بيع الطيبات نظير نقود معلومة يحدد مقدارها سعر البيع.

ب- شراء طيبات أخرى نظير هذه النقود.

فإذا تم البيع ولم يتم الشراء لم تتم صفقة المقايضة، بل تم نصفها، وفي هذا ضرر بالغ على المجتمع واقتصادياته^(٣).

(١) انظر خطوط رئيسية في الاقتصاد الإسلامي لـ محمود أبو السعود مطبعة معتوق -

بيروت - لبنان - ط ١ ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م ص ٢١.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٣.

(٣) المصدر السابق.

إذن فالإسلام أعطى للنقود قيمة كبرى ليس في ذاتها ولكن لأنها وسيلة تقييم جهود وممتلكات الآخرين، لهذا لا يجوز لهذه الوسيلة أن تنمو إلا بطريقة حقيقية ولا تتناقص إلا بخسارة فعلية حتى تصبح وسيلة قياس صحيحة.

وخروج النقود عن وظائفها الأساسية يجعلها محلاً للمتاجرة كما في الربا معناه تعطيل هذه النقود وتضييق المبادلات الحقيقية في المجتمع وما ينتج عن ذلك من نقص الإنتاج وزيادة البطالة وانتشار المعاملات الوهمية غير الحقيقية يقول موريس آليّة (عالم اقتصادي حائز على جائزة نوبل في الاقتصاد) إن آليّة الائتمان - أي التمويل الربوي - تؤدي بصورة جوهرية إلى خلق وسائل دفع من لا شيء ذلك لأن صاحب الوديعة في أي مصرف من المصارف يعتبر وديعته رصيماً نقدياً متاحاً تحت تصرفه، في حين أن هذا المصرف قد اقترض معظم هذه الوديعة، الذي إذا ما أعيد إيداعه في مصرف آخر أو لم يعد إيداعه، اعتبر رصيماً نقدياً متاحاً تحت تصرف صاحبه، فكل عملية ائتمان ترافقها إذاً عملية مضاعفة للنقود)).

إن هذا القول يجسد لنا الأثر البالغ الذي يولده التمويل الربوي على النقود التي تسعى كل السياسات الاقتصادية إلى الحفاظ على استقرارها وعلى تأديتها لوظائفها الأساسية بشكل سليم، لذلك كان للحكمة الاقتصادية لتحريم الربا سعة وبعد النظر في مآل التعامل الربوي.

المطلب الخامس

مضار الربا على الاقتصاد والمجتمع والفرد

أولاً: مضاره على الاقتصاد

إن آثار الربا وأضراره ومفاسده -التي اكتشفها الناس اليوم نتيجة تطور العمليات الاقتصادية وتعقدتها- تؤكد أن تشريع الله في الربا معجز ولا يستطيع أحد أن يأتي بمثله، مما يدل دلالة قاطعة على أن هذا التشريع من عند الله العليم الخبير، وليس من عند محمد ﷺ، ولا صحابته ﷺ، لعدم مقدرتهم على معرفة وإدراك كثير من حكم وأسرار هذا التشريع، وهذا وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم وهو الإعجاز الاقتصادي في باب الربا.

وبناءً على ما سبق فإن الغاية من هذا المطلب هو بيان الآثار الاقتصادية للربا، وجمع الشواهد والبراهين عليها من واقعنا المعاصر، مما يؤكد أن التعامل بالربا فيه مفسد كثيرة، وان منع التعامل به فيه منافع كثيرة للفرد والمجتمع. وسأتناول مضاره على الاقتصاد في الفقرات التالية:

الضرر الأول: سوء توزيع الثروة

تتركز عملية الإقراض بفائدة^(١) (الإقراض الربوي) على الأشخاص القادرين على تقديم ضمانات تسديد القروض وفوائدها، وهو ما يؤدي إلى تركيز ثروة البلاد في أيدي عدد قليل من الأشخاص^(٢).

و تأييداً لهذا المعنى يقول الدكتور شاخت الألماني: انه بعملية غير متناهية يتضح أن جميع مال الأرض صائر إلى عدد قليل جداً من المرابين، ذلك لأن المرابي يربح دائماً في كل عملية، بينما المدين معرض للربح والخسارة، ومن ثم فإن المال كله في النهاية لا بد بالحساب الرياضي أن يصير إلى الذي يربح دائماً^(٣).

ومن مظاهر سوء توزيع الثروة تسخير العمل لحساب رأس المال، حيث يقوم الإنتاج على عنصرين: العمل والمال، والعمل هو الأساس الأول، لأنه هو الذي يوجد المال في الأصل.

وموجب ذلك أن يتحمل كل من العنصرين نصيبه من الربح والخسارة، فإذا أشركنا صاحب المال في الربح، وجب أن يشترك في الخسارة النازلة، غير أن الفائدة تهدم هذا البنيان

(١) الفائدة: المبلغ التي يتعين على من يقترض نقوداً لفترة ما أن يرده إلى المقترض بعد انتهاء هذه الفترة، وذلك بالإضافة إلى أصل المبلغ المقترض، فهي ثمن استخدام النقود. النظرية الاقتصادية الجزء الأول (التحليل الاقتصادي الجزئي). احمد جامع. دار النهضة العربية، القاهرة. مصر، ط٥، ١٩٨٦ ص ٩٠٦.

(٢) الفوائد بين علة التحريم ونتائج الانتشار. حمزة الجمعي، الاقتصاد الإسلامي، المجلد الثاني، العدد ١٥، ١٤٠٣-٥٣-٥٤.

(٣) الفائدة الربوية وقود التضخم النقدي وليس تعويضاً عنه، حسين حسين شحادة، الاقتصاد الإسلامي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة ١٩٩٠ ص ٢١٣-٢١٤.

الطبيعي، وتسخر العمل لحساب رأس المال، لأن المنتج وهو المدين دائماً، يضمن للمرابي رأس ماله، ونصيبه من الربح، دون أن يشارك هذا الأخير في الخسارة النازلة.^(١)

وبناء على ما سبق فإن الذين يتركز عندهم المال فئتان:

الفئة الأولى: المرابون الذين يقرضون المال ويربحون دائماً.

الفئة الثانية: الأشخاص الأغنياء المقترضون القادرون على تقديم ضمانات تسديد قروضهم.

وهذا يؤدي إلى تداول المال بين المرابين والأغنياء القادرين على تقديم ضمانات مما يجعل المال متداولاً بين هؤلاء وهو مخالف لمنهج الإسلام.

إن منهج الإسلام يقوم على توزيع المال بين الناس، وتداوله وحركته بينهم، ولذلك جعل علة توزيع الفيء - كأحد مصادر المال في الإسلام - على المستحقين منع تركيز المال في أيدي

الأغنياء فقط، بل يتداول بين الناس، قال تعالى [ZYXM \] ^ _ ` a b

c d e f g h i j k l m n o p q r s t

نَهَكُمْ عَنْهُ فَأَنْتُمْ وَأَنْتُمْ وَاللَّهُ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢)

إن الطريقة الإسلامية يهتما إن يكون الأشخاص القائمون على المشاريع من أهل الأمانة والخبرة والالتزام، وهذا يؤدي إلى تحقيق العدالة الاجتماعية في توزيع الثروة والدخل بين الناس.^(٣)

إن رب المال - في نظام المشاركة الإسلامية - لا يطلب ضمانات، لأنه هو الضامن للمال، بحيث يتحمل خسارته إذا وقع مقابل تحمل العامل ضياع عمله.

وبناء على ما سبق لا يمكن لنظام الفائدة أن يعالج مشكلة الفقر أو يصلح الدول الفقيرة، فالنزيف مستمر من الفقراء إلى أصحاب المال، وأصحاب المال تزيد أموالهم زيادة مستمرة، ومديونية الدول الفقيرة في ازدياد وفوائد هذه الديون في ازدياد أيضاً.

(١) الربا وفائدة رأس المال بين الشريعة الإسلامية والنظم الوضعية، فتحي السيد لاشين، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٠ ص ٨٠-٨١.

(١) سورة الحشر آية ٧

(٣) العقبات والصعوبات التي تحول بين البنوك الإسلامية وتحقيق التنمية، موسى شحاتة، الاقتصاد الإسلامي، العدد ٢٧٢-١٤٢٤ هـ ص ٣١.

إنه الظلم أكل أموال الناس بالباطل الذي نصَّ عليه القرآن الكريم، وهذا وجه من وجوه إعجاز هذا التشريع الخالد الذي جاء به القرآن الكريم.

الضرر الثاني: هدر الموارد الاقتصادية

ينتج هذا عند الإقراض بفائدة لأموال لا يتم توجيهها إلى أنشطة ومشاريع ذات جدوى ومنفعة حقيقية لحياة الناس^(١)

فيتم توجيه الاقتصاد وجهةً منحرفةً من مشروعات صناعية وتجارية إلى نوادٍ للقمار والعهر والفساد بما يعود بالضرر على المجتمع، وكذلك تشجيع الناس على المغامرة والإسراف، بتسهيل وضع المال في أيدي المغامرين والجهلة والمسرفين^(٢). فيؤدي هذا إلى هدر الموارد الاقتصادية.

إن هدر الموارد الاقتصادية ينتفي في الطريقة الإسلامية التي ينبغي أن توظف الأموال في مشاريع ذات منفعة حقيقية لحياة الناس وللدورة الاقتصادية في البلاد فالأموال في النظام الإسلامي لا تمنح كقرض لا يُعلم إلى أين يتجه إلى سلع استهلاكية أو سلع ترفيهية أو أدوات كمالية^(٣)

إن أموال البنوك الإسلامية مثلاً إذا شاركت في عملية استيراد فهي أموال حقيقية وليس ائتماناً مخلوقاً ولا إضافة لكمية النقود المتداولة... وهي تنزل إلى السوق سلعاً مطلوبة، فإذا بيعت استردَّ البنك الإسلامي أموالاً أكثر مما دفع^(٤).

إن التمويل الربوي يؤدي إلى سهولة المداينات دون أي ارتباط بالنشاط الاقتصادي الفعلي، وهذا بدوره يؤدي إلى:

تفاقم الإنفاق الاستهلاكي، لأن نسبة كبيرة من القروض الفردية ستوجه إلى الحاجات الآنية على حساب الاحتياجات المستقبلية، وهذا يعني اختلال أنماط الإنفاق في المجتمع، مما يجعل الأفراد أكثر اعتماداً على الديون لتسيير حياتهم اليومية، وكلما كانت آليات الإقراض النقدي أكثر

(١) العقبات والصعوبات التي تحول بين البنوك الإسلامية وتحقيق التنمية ص ٣١.

(٢) الربا وأثره على المجتمع الإنساني . عمر سليمان الأشقر دار النفائس، عمان، الأردن ط٣، ص١٢٨-١٢٩ ١٤٢٣هـ.

(٣) العقبات والصعوبات التي تحول بين البنوك الإسلامية وتحقيق التنمية ص ٣١.

(٤) البنك الإسلامي بنك تنمية اجتماعية واقتصادية. عبد السميع المصري، مجلة الاقتصاد الإسلامي العدد ١ ١٤٠٢هـ - ص١٤٨-١٤٩.

تيسيراً كلما ازداد اعتماد الأفراد عليها، ويصبح الأمر مثل كرة الثلج لا تزداد مع التدرج إلا ضخامة^(١).

ومثل ذلك فيما إذا اشترى شخص ثلاثة آلاف دينار على أن يردها خمسمائة ألف ديناراً، فمففعة المئتين ألف دينار يقابلها الزيادة على النقد بسبب الأجل، وهذه المففعة قد لا يقابلها ما ينتفع به المدين، فقد يسدد ديناً، أو ينفق على أهله، أو يتوسّع في الاستهلاك كشرء المأكولات والمشروبات ونحوها وهذا هو القرض لأجل.

ودليل ذلك أن التداول النافع للسلع من المصالح الكلية، وهو الذي يجعل السلعة متاحة لأكثر الناس إنتفاعاً بها، ويؤدي إلى تحريك السوق^(٢).

وبالنظر في المثال السابق يمكننا التفريق بين الربا بما يأتي:

١. الزيادة في البيع والتجارة هي مقابل إيجاد السلعة، أما الزيادة في الربا فهي أجرة على مجرد التأجيل.

٢. الزيادة في البيع والتجارة هي زيادة في معاوضة صحيحة بين شيئين مختلفي الأغراض والمنافع، فتكون الزيادة في مقابل منفعة مقصودة ومطلوبة في البديل المقابل. أما الدين فلا معاوضة فيه على الحقيقة، لأن بدليه من جنس واحد، ولأنه واجب الرد بمثله من جنسه بلا زيادة ولا نقصان، فكانت الزيادة فيه بغير عوض يقابلها^(٣).

٣. إن الشيء المبيع يؤخذ ربحه مرة واحدة، ومع ذلك فالغالب أن يستمر نفعه مدداً تطول أو تقصر، على العكس من الربا فالدين يستهلك مرة واحدة في حين يستمر الربا في سلسلة لا تنقطع^(٤).

٤. البيع والتجارة تتضمن مخاطرة من وجهين:

أولهما: مخاطرة انخفاض السعر، أو كساد السلعة وبوارها حينما يريد بيعها.

ثانيهما: مخاطرة الهلاك والتلف، فترة بقائها في حوزته.

(١) التكافؤ الاقتصادي بين الربا والتورق - سامي بن إبراهيم سويلم الاقتصاد الإسلامي

، عدد ٢٧٤ سنة ١٤٢٥ ص ٣٧.

(٢) المرجع نفسه ص ٣٥.

(٣) الربا. المودودي ص ٨٤.

(٤) المصدر نفسه.

ورأس مال الربا لا مخاطرة فيه، بل هو دين مضمون في الذمة، واجب الرد بمثله، فلا يتعرض لأية مخاطرة.^(١)

فالإسلام يُعطي لكل نوع من أنواع رأس المال لوناً مناسباً من المكافأة (الربح): يعطي رأس المال البشري (العمل) أجراً ثابتاً أو مشاركة (شركة أعمال مثلاً)، ويعطي رأس المال المثلي (الاقراضي) ربحاً بالمشاركة دون الأجر الثابت، ويعطي رأس المال القيمي (الاجاري) أجراً دون مشاركة، مثل أجر أدوات الإنتاج كالمحراث والآلات الزراعية ونحوها. كل ذلك بما يحفظ العدالة ويدفع إلى الإحسان^(٢)

الضرر الثالث: ضعف التنمية الاقتصادية والاستثمار

من مقاصد النظم المالية الإسلامية والمؤسسات المصرفية الإسلامية المساهمة في التنمية وتحقيقها، وتمويل المشروعات الإنتاجية بنظام المشاركة وفقاً لقاعدة (الغنم بالغرم). فالصبيغ الإسلامية - كالمضاربة الإسلامية، والمشاركات، والاستصناع والسلم، والمرابحات وغيرها - تتميز بأنها تتفاعل مع السلع لتولد مجموعة من الأنشطة الاقتصادية التي توظف أكبر عدد من عوامل الإنتاج ومنها عنصر العمل، وتساعد في علاج مشكلة البطالة والفقر وتحقيق الأمن الاقتصادي^(٣)

ويرى علماء الاقتصاد أن النقود لا تلد نقوداً، بل لا بد من تدويرها من حلبة النشاط الاقتصادي، ثم تنقلب إلى سلع وخدمات، وتتفاعل مع عوامل أخرى لتحقيق النمو والتطور^(٤)

إن الفائدة المباحة (المشاركة مثلاً) مشجعة على الاستثمار أكثر من الفائدة المحرمة (الربا)، لأن الاستثمار لا يعود خاضعاً إلى ضغوط آثار المقارنة بين معدل الفائدة ومعدل مردود الاستثمار.

(١) الجامع في أصول الربا. المصدري ص ٤١٦.

(٢) الربا المودودي ص ٨٤.

(٣) التورق المصرفي في نظر التحليل المحاسبي والتقويم الاقتصادي حسين شحاته - الاقتصاد الإسلامي. مجلد ٢٧٤ - ١٤٢٥ هـ ص ٣٠-٣١.

(٤) المصدر نفسه ص ٣٠.

وفي ظلّ نظام المشاركة وعدم تحديد الفائدة مسبقاً، فإنّ العلاقة بين رجل الأعمال وأصحاب المال هي علاقة شراكة وتضامن وتعاون بالنسبة للنتائج، لا علاقة أنانية واستئثار وصراع كما في نظام الفائدة الثابتة التي يزداد معدلها كلّما زاد الطلب على المال، واحتاج رجل الأعمال إلى القيام باستثمارات^(١)

أما الإقراض بنظام الفائدة فإنه يؤدي إلى تضيق دائرة التمويل، لأنه يعتمد على ضمانات لا يقدر عليها إلا الأغنياء. ورب المال في نظام الفائدة أقل اهتماماً بنجاح المشروع، ولا تهمّه الأمانة والخبرة والمقدرة في العمل، لأن أكثر ما يهّمه لأن يكون المقرض غنياً ومليئاً، وأن تكون فائدته ثابتة، ورأس ماله مضموناً^(٢)

وبناءً عليه فكلمة توسّع الناس في الضمانات فإنه يؤدي إلى تخفيض التمويل، وهذا يعني تقليل الاستثمار، والذي يأخذ فائدة مضمونة لا يهتم بنجاح المشاريع الاقتصادية، وهذا بدوره يؤدي إلى ضعف التنمية الاقتصادية.

وإن تقلص دور الضمانات في نظام المشاركة مثلاً يساعد على توسيع دائرة التمويل بحيث تشمل الفئات الأقل من العمال المهرة.^(٣)

وتوسيع دائرة التمويل يؤدي إلى زيادة الاستثمار وتشجيعه، بحيث يشمل العمال المهرة كالحدادين والنجارين وأصحاب المعامل الصغيرة على اختلاف حرفهم.

إن الإقراض بنظام الفائدة يقوم على تحديد سعر الفائدة مسبقاً، وهذا يؤدي إلى حجب بعض المشروعات التي يقل مردودها عن الفائدة الواجب دفعها، أو يساويها، أو لا يزيد عنها إلا قليلاً^(٤)

فبتحديد سعر الفائدة مقدماً - قبل أن يعلم أحد قيمتها الحقيقية بالضبط - ظلم للمقرض أو المقرض، فإذا ازدادت نسبة صافي الربح الفعلي عن سعر الفائدة وقع على المقرض ظلم بحرمانه من هذه الزيادة، وإذا قلت نسبة صافي الربح الفعلي عن سعر الفائدة وقع على المقرض ظلم بإلزامه بسداد الفائدة بالكامل رغم زيادتها على الربح المحقق فعلاً وهذا بيان للظلم الذي يقع على المقرض أو المقرض بسبب الإقراض بفائدة.

(١) الجامع في أصول الربا. المصري ص ٤١٩.

(٢) المصدر نفسه ص ٤٢١.

(٣) المصدر السابق .

(٤) المصدر السابق.

هذا بالنسبة على تحديد سعر الفائدة مسبقاً، أما ارتفاع سعر الفائدة فإنه يؤدي إلى إعاقة التنمية الاقتصادية، لأن رجل الأعمال عندما يفكر في توسيع مصنعه أو إنشاء مصنع جديد يرى أن سعر الفائدة سيلتهم ثمره عمله فيحجم عن هذه المخاطرة، بل قد يؤثر الكثيرون السلامة والكسل فيودعون أموالهم في البنوك أو شهادات الادخار قانعين بما تدرّه عليهم من فوائد معرضين عن الخوض في مجال التنمية وإيجاد الرزق الحلال والعمل الطيب للناس^(١). ويؤكد هذه المعاني الاقتصادي المشهور كينز فيقول: إن معدل سعر الفائدة يعوق النمو الاقتصادي لأنه يعطل حركة الأموال نحو الاستثمار في حرية وانطلاق، فإن أمكن إزالة هذا العائق فإن رأس المال سيتحرك وينمو بسرعة^(٢).

وبرهان ذلك من المقرر محاسبياً احتساب الفائدة ضمن تكاليف الإنتاج، فتعتبر كأي نفقة من نفقات الإنتاج، مثل الإيجار والنور والمياه.

وبناء على هذا تزيد النفقات كلما زادت الفائدة، ونقل كلما قلت، وبالتالي فإن الأرباح تقل كلما زادت الفائدة وتزيد كلما قلت الفائدة، فارتفاع سعر الفائدة يؤدي إلى انخفاض صافي الربح، وهذا بدوره يؤدي إلى انكماش حجم الاستثمار، وإلى توقّف التكوين الرأسمالي، وإلى هبوط الدخل القومي، وانخفاض القوة الشرائية، والعكس صحيح، ومن هنا يتّضح أن من مصلحة الاقتصاد القومي القضاء نهائياً على الفائدة^(٣).

ومما يعيق التنمية الاقتصادية ويضعف الاستثمار ما تقرضه السياسة النقدية للبنوك المركزية على البنوك الأخرى الخاضعة لها ضرورة الاحتفاظ بنسبة معينة من إجمالي الودائع الخاصة بكل بنك في حساب خاص به لدى البنك المركزي فيما يُعرف بالاحتياطي القانوني بهدف حماية أموال المودعين من ناحية، وتحجيم دور البنوك في زيادة العرض

(١) البنك الإسلامي بنك تنمية اجتماعية اقتصادية . عبد السميع المصري . ص ٨٩.

(٢) الفائدة الربوية وقود التضخم حسين حسين شحاتة، الاقتصاد الإسلامي، دار التوزيع والنشر الإسلامية القاهرة ١٩٩٠، ص ٢١٣.

(٣) الفوائد بين علل التحريم ونتائج الانتشار حمزة الجميعي. الاقتصاد الإسلامي المجلد الثاني العدد ١٥ ١٤٠٣ هـ ص ٥٤.

النقدي، هذه السياسة النقدية- التي تلائم المصارف التي تعتمد على نظام الفائدة - تؤدي إلى تعطيل جزء من الأموال التي قدمها أصحابها لتلك المؤسسات بغرض استثمارها^(١). وهذه السياسة النقدية غير ملائمة للطريقة الإسلامية، فمثلاً نظام المضاربة لا يترتب عليه رد الأموال في أي وقت لارتباطها بمشروعات استثمارية موظفة بها من ناحية، وارتباطها بمبدأ المشاركة في الربح والخسارة من ناحية أخرى. وقد أدت هذه السياسة إلى تعطيل جزء من أموال البنوك الإسلامية مما يؤثر سلباً على ربحية هذه الاستثمارات^(٢). ويتلخص لدينا مما سبق أن نظام الفائدة يعيق التنمية الاقتصادية للأسباب التالية:

١. التوسع في الضمانات للقرض الربوي توسعاً لا يقدر عليه إلا الأغنياء، وهذا يمنع عاملين مهرة في الاستثمار لعدم وجود ضمانات كافية.
٢. اهتمام المقترضين باسترجاع رأس مالهم مضافاً إليه الفائدة أكثر من اهتمامهم بنجاح المشروع.
٣. زيادة تكاليف الإنتاج مما يؤدي إلى انخفاض صافي الربح، وهذا بدوره لا يشجع الاستثمار.
٤. الاحتفاظ بالاحتياطي القانوني لكل بنك في البنوك المركزية يعطل جزءاً من المال عن الاستثمار والإنتاج والمشاركة في التنمية.

الضرر الرابع: التضخم

يدور مفهوم التضخم حول الزيادة في كمية النقود تؤدي إلى ارتفاع في الأسعار، فهو ظاهرة تتمثل في انخفاض القوة الشرائية للنقود المقترضة أو ارتفاع الأسعار^(٣). ومن أسباب هذه الظاهرة زيادة كمية النقود. وتأييداً لهذا يرى عالما الاقتصاد السويدي فيكسل والانجليزي كينزان التضخم يحدث عندما تزداد كمية النقود، حيث يزيد الطلب الكلي على السلع والخدمات أكثر من العرض الكلي لهذه السلع والخدمات^(١).

(١) المخاطر التي تواجه استثمارات المؤسسات المالية والمصرفية ص ١٣-١٤.

(٢) المصدر نفسه ص ١٤.

(٣) الاقتصاد النقدي والمصرفي. مصطفى شيحة. ص ٥٧٥-٥٧٨.

ويفسر فيكسل ظاهرة ارتفاع الأسعار بالمقارنة ما بين سعر الفائدة النقدي الذي تمارسه البنوك عند الإقراض أي نفقة الإقراض من البنوك مثلاً والعائد الذي يمكن إن يحققه رأس المال المستثمر (أي سعر الفائدة الحقيقي) وتوضيح ذلك:

لنفرض أن سعر الفائدة = r ، فإن المديونية = $k(1+r)$ في نهاية الفترة، ولنفرض أن العائد = z ، فتصبح قيمة الناتج - $k(1+z)$ ، k = كمية النقود، والتوازن النقدي يحصل عندما تكون $z=r$ ، ويتحقق ثبات الأسعار، ولو قامت البنوك التجارية بتخفيض سعر الفائدة النقدية بالمقارنة بسعر الفائدة الحقيقية، فإنه يؤدي إلى ارتفاع الأسعار، لأنه يؤدي إلى زيادة الاستثمار ومن ثم زيادة الطلب على عناصر الإنتاج، وارتفاع أسعارها، فتزداد نفقات الإنتاج وتزداد الأسعار، ويؤدي أيضاً إلى زيادة الإنفاق الاستهلاكي مما يؤدي إلى ارتفاع الأسعار، ولو قامت البنوك برفع سعر الفائدة فإنه يؤدي إلى ارتفاع في كلفة رؤوس الأموال مما يؤدي إلى رفع الأسعار^(٢).

ودليل آخر على اثر الفائدة في التضخم أن صاحب المال لا يرضى إذا استثمر ماله في صناعة أو زراعة أو شراء سلعة أن يبيع سلعته أو الشيء الذي أنتجه إلا بربح أكثر من نسبة الربا، لأنه يفكر أنه استثمر المال وبذل الجهد واستعدّ لتحمل الخسارة، فلا بد أن تكون نسبة الربح أكثر من نسبة الربا، وكلما ازدادت نسبة الربا غلت الأسعار أكثر منها بكثير، هذا إذا كان المنتج أو التاجر صاحب مال، وأما إذا كان ممن يقترض بالربا فرفعه للأسعار أمرٌ بديهيّ، سيضيف إلى نفقاته ما يدفعه من الربا^(٣).

وأما البنوك في إيجاد التضخم فيؤكداه الاقتصاديون الغربيون فيقولون: «البنوك تخلق النقود»، وهذه حقيقة فعلية في البنوك الربوية التي تخلق نقوداً حسابية بأن تفتح للعميل اعتمادات يسحب منها دون أن يودع لدى البنك نقوداً وبذلك تسهم في إيجاد التضخم، لأنه

(١) المصدر نفسه ص ٥٨٤.

(٢) الاقتصاد النقدي والمصرفي ص ٥٨٤.

(٣) التدابير الوقائية من الربا في الإسلام فضل الهي. إدارة ترجمان باكستان . ط٤،

٢٨٤ - ٢٨٥.

عندما تحاول الحكومة امتصاص الزائد من النقود في السوق برفع سعر الفائدة على الودائع، تقوم هذه البنوك بإعادة الأموال للسوق بل وزيادتها بما تمنحه من اعتمادات^(١). وبناء على ما سبق فإن نظام الفائدة الربوية جعل التضخم ظاهرة عامة تخضع لها كافة الاقتصاديات الصناعية المتقدمة، فالأسعار في ارتفاع مستمر، وقيمة العملات الوطنية في تناقص مستمر، ونفقات المعيشة وأسعار التجزئة تتجه إلى أعلى دائما.

ويتلخص مما سبق إن أسباب ارتفاع الأسعار ما يلي:

١. زيادة عرض النقود في السوق
٢. سعر الفائدة: إن سعر الفائدة يؤدي إلى ارتفاع الأسعار، ومن العجيب إن خفض سعر الفائدة يؤدي أيضا إلى ارتفاع الأسعار من وجه، فالأسعار في ازدياد ما دام هنالك فائدة، ولا تستقر الأسعار إلا بانعدام الفائدة.

الضرر الخامس: البطالة

أكبر مشكلتين يواجههما الاقتصاد الرأسمالي: البطالة والتضخم، وتزيد معدلات البطالة مع ارتفاع التضخم، فارتفاع الأسعار دون زيادة متناسبة في الأجور سوف تؤدي إلى الإقلال من الطلب على السلع، وبالتالي إلى انخفاض حجم الاستثمار والإنتاج زماماً ثم زيادة معدلات البطالة.^(٢)

لقد ساعدت الفائدة على وجود طبقة من البطالة المقنعة تمثل في هؤلاء المدخرين الذين يقعدون عن العمل اكتفاء بما توفره الفائدة من دخل ثابت مما يحرم كثيرا من المشاريع من عمل هؤلاء المدخرين، وكذلك فإن أصحاب الأموال يفضلون إقراض أموالهم بالربا على استثمارها في إقامة مشاريع صناعية أو زراعية أو تجارية، ولهذا يقلل فرص العمل، فتنتشر البطالة في المجتمعات التي يسود فيها التعامل الربوي.^(٣)

(١) آراء ومفاهيم حول البنوك الإسلامية. عبد السميع المصري. رسالة البنك الإسلامي (الاقتصاد الإسلامي). المجلد الأول. العدد الثالث ١٤٠٢ ص ٨٨.

(٢) الاقتصاد النقدي المصرفي. مصطفى شيحة. ص ٧٨٧- ٤٨٩.

(٣) الفوائد بين علة التحريم ونتائج الانتشار. الجمعي ص ٥٤.

ويؤيد هذه الفكرة الاقتصادية المشهور كينز فيقول: إن العمالة الكاملة هي الواجب الأول للدولة ولا تتحقق إلا إذا أنزل سعر الفائدة إلى الصفر أو ما يقرب من ذلك، والعمالة الكاملة هي أن يجد كل راغب في العمل فرصته.^(١)

فيرى الاقتصادي كينز أن علاج مشكلة البطالة يكون بانعدام الفائدة أو تخفيضها إلى أدنى حد ممكن، وهذا رأي علماء الاقتصاد الذين يدينون بالإسلام، مما يدل على أن الإسلام في موضوع الربا معجز (اليابان طبقت مفهوم الفائدة الصفرية منذ ١٥ سنة مما جعل اقتصادها يزدهر بشكل سريع).

وأما تعليل ذلك فإن الفائدة تؤدي إلى زيادة أسعار السلع فينقص الطلب عليها وينحسر الاستهلاك مما يؤدي إلى فائض في المنتجات، وقد يلجا المنتجون في سبيل تخفيض الأسعار إلى تخفيض أجور العمال أو الاستغناء عن بعضهم.^(٢)

ثانياً: مضار الربا على المجتمع

لا يمكن أن تقوم المجتمعات الإنسانية ما لم يترابط الناس فيما بينهم بروابط الود والمحبة القائمة على التعاون والتراحم والتكافل.

والربا بما يحدثه في النفوس من أمراض، وبما يوجده في الاقتصاد من بلايا، وبما يصنعه من خلل يصيب المجتمعات الإنسانية بالدمار.

وهذا الخلل الذي يحدثه الربا في المجتمعات الإنسانية - وهو خلل توزيع الثروة - داء يعجز علاجه الأطباء، وقد اعترف رجال الاقتصاد الكبار في العالم الغربي ومن هؤلاء (شارل رست)، ورست هذا - كما يقول العالم الاقتصادي المسلم عيسى عبده - حجة في تاريخ المذاهب الاقتصادية وصاحب مدرسة ليس لها نظير في العالم الغربي، وقد اعترف (رست) بعجزه التام عن حل مشكلات العالم الذي يعيش فيه، بعد أن بلغ قمة نضجه، يقول (رست): إنني وقد قاربت سن التقاعد، أريد أن أوصي الجيل الأصغر مني

(١) الفائدة الربوية وقود التضخم النقدي وليس تعويضاً عنه. حسين حسين شحاتة. الاقتصاد

الإسلامي. دار التوزيع والنشر الإسلامية - القاهرة ١٩٩٠ ص ٢١٣.

(٢) الربا وفائدة رأس المال بين الشريعة والنظم الوضعية. فتحي السيد لاشين. دار التوزيع

والنشر الإسلامية - القاهرة ١٩٩٠ ص ٨٢.

(٢) سورة طه الآيتان ١٢٤-١٢٧

سناً في هذا القضية: لقد أصبحنا الآن بعد هذه الجهود الطويلة في بلبله مستمرة فكلنا يشقى بسبب توزيع الثروة، وتوزيع الدخل، سواء منها ما كان جزئياً، مثل قضية الفائدة والربا، أم ما كان مثل تفاوت الطبقات تعبنا في هذا ولم نصل إلى شيء قال تعالى **Å M** **Ö Õ Ô Ó Ò Ñ Ð Ì Î Í Ì È Ê É È Ç Æ** **Ø ×** **1 2 3 4 5 6 7 8 L** (١).

ويمكن أن نوجز أهم المضار للربا على المجتمعات:

أولاً: يؤدي التعامل بالربا إلى التجرد من القيم الإنسانية والأخلاق السامية فالمرابي يعبد المال، ولقد تعود على الجشع والشره والبخل وقلبه أشد قسوة من الحجارة، لا يتورع من أن يضحى بكل المثل والمبادئ من أجل درهم ربا، وقد وصفه القرآن بأنه سوف يبعث يوم القيامة مجنوناً ومسعوراً وقلقاً كما أنه يتصف بالأنانية والكذب. **M8 7**

(٢) **L - , + *) (' &% \$ # " !**

ثانياً: يحطم النظام الربوي نظام التكافل الاجتماعي بين المسلمين ويساعد على نشر الحقد والكراهية بين أفراد المجتمع، فالمرابي دائماً وأبداً ينسى العلاقات الاجتماعية ويحاول استغلال الفرص لتحقيق أكبر فائدة ممكنة ولو كان ذلك على حساب المروءة والتعاون، ونجد أنه بمضي الزمن تتكدس الأموال لدى المرابين، ويزداد الغني غنيً ويزداد الفقير فقراً.... ويؤدي ذلك إلى تفكك المجتمع وانعدام المودة والمحبة والتكافل والتعاون والإخوة والتآلف، وهذا ما نشاهده في أيامنا هذه.

ثالثاً: يؤدي النظام الربوي إلى ارتفاع نفقات إنتاج مستلزمات الحياة من السلع والخدمات، وهذا بدوره يؤدي إلى ارتفاع الأسعار، لأن التجار والصناع يضيفون فائدة القروض إلى الأثمان وبذلك يتحمل المستهلك الفائدة الربوية في السعر الذي يدفعه وهذا ما يعاني منه الناس في هذه الأيام، ومن ناحية أخرى تؤدي الفائدة الربوية إلى عرقلة انسياب

(١) سورة طه: ١٢٤-١٢٧.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٧٥

الأموال في الأسواق المالية ثم اتجاهها نحو المشروعات الاقتصادية التي تحقق عائداً أعلى من الفائدة التي غالباً لا تفيد المجتمع بل تساعد على فساده مثل مشروعات اللهبو والفسوق والعصيان، بالإضافة إلى ما سبق يؤدي النظام الربوي إلى الاكتناز والبطالة والأزمات الاقتصادية وهذا بشهادة علماء الاقتصاد غير المسلمين مثل كينز وشاكت.

رابعاً: يؤدي النظام الربوي إلى وقوع الدول الفقيرة تحت سيطرة الدول الغنية بسبب تراكم فوائد القروض... ويقود هذا إلى الاستعمار العسكري والاقتصادي والفكري وهذا ما نشاهده واضحاً في أيامنا هذه، ومن ناحية أخرى نجد المرابين يسيطرون على سياسات الدول ومؤسساتها وحكامها وليست انجلترا وأمريكا منا ببعيد.

ثالثاً: مضار الربا على الفرد

الربا مرض يصيب الكيان الاقتصادي والاجتماعي مجتمعة، وإذا بحثنا في سائر الأمراض الخطيرة التي تصيب جسم الإنسان لتطابقها بداء الربا، لم نجد إلا السرطان داءً وحيداً خبيثاً يصلح للمطابقة التامة مع داء الربا في جسم الهيكل الاقتصادي والاجتماعي^(١).

قد وصف الله ﷻ من يتعامل بالربا يقول ﷻ M ! " \$% & ' () * + , - L (٢)

والتخبط في اللغة - كما يقول النووي - الضرب على غير استواء، يقال: خبط البعير إذا ضرب بأخفافه، ويقال للرجل الذي يتصرف تصرفاً رديئاً ولا يهتدي فيه هو يخبط خبط عشواء، وهي الناقة الضعيفة البصر.

يقول صاحب الظلال في تفسير الآية الكريمة: إنهم لا يقومون في الحياة ولا يتحركون إلا حركة الممسوس المضطرب القلق المتخبط الذي لا ينال استقراراً ولا

(١) أحكام النقود في الشريعة الإسلامية. محمد سلامة. مطبعة الفيصل ٢٠٠٢م ٤٢٣هـ / ص ٥٣.

(٢) سورة البقرة: من الآية ٢٧٥.

طمأنينة ولا راحة... وإذا كان هناك شك في الماضي أيام نشأة النظام الرأسمالي إلى الحديث في القرون الأربعة الماضية، فإن تجربة هذه القرون لا تبقى مجالاً للشك أبداً^(١). ونلاحظ من الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قد قرر لآكل الربا خمس عقوبات:

أولاً: التخبط... قال الله تعالى M \$ % & ' () * + , - L . (٢)

ثانياً: المحق... قال تعالى M U T V L . (٣)

ثالثاً: الحرب... قال الله تعالى M § ¨ © ª « L . (٤)

رابعاً: الكفر... قال الله تعالى: { z M | { أَرَبِّوْا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } L . (٥) وقال سبحانه بعد ذكر الربا: [Z M] \ [^ _ L (٦) أي كفار باستحلال الربا، أثيم فاجر بأكل الربا.

خامساً: الخلود في النار قال تعالى: L K J M

LR QP N M (٧)، وكذلك - قول الله تعالى: M ° » 1/2 1/4

L A E Å Ä Ã Ä À ن 3/4 (٨)

وهذا جلي واضح في المجتمعات الذي يقوم نظامه الاقتصادي على أساس إباحة الربا، فإنه يصاب في النهاية باضطرابات اقتصادية خطيرة.

(١) تفسير آيات الربا - سيد قطب - مفاهيم اقتصادية - دار البحوث العلمية ص ٢٦.

(٢) البقرة من الآية ٢٧٥.

(٣) البقرة من الآية ٢٧٦.

(٤) البقرة من الآية ٢٧٩.

(٥) البقرة الآية ٢٧٨.

(٦) البقرة الآية ٢٧٦.

(٧) البقرة الآية ٢٧٥.

(٨) ال عمران الآية ١٣٠.

ويحاول الخبراء علاجها فيخططون ويتخبطون كالذي أصابه الشيطان بمس ويكون الذي يوحى إليهم شيطان المال والطغيان كما يوحى الشيطان إلى من تسلط عليه من المس.

فالاقتصاد الربوي يتخبط والمصروع من مس الشيطان يتخبط وصدق الله ورسوله وخسر هنالك المبطلون^(١).

أما من الناحية الصحية لآكل الربا- فلقد قرر عميد الطب الباطني في عصره المرحوم الدكتور عبد العزيز إسماعيل في كتابه (الإسلام والطب الحديث) أن الربا هو السبب في كثرة أمراض القلب.

ويكون من أعراضه ارتفاع ضغط الدم المستمر أو الذبحة الصدرية أو الجلطة الدموية أو النزيف بالمخ، أو الموت المفاجئ^(٢) ونجد وصف الذي يتعامل بالربا السنة النبوية المطهرة أيضاً.

فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال أتيت ليلة أسري بي على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أكلة الربا^(٣).

وقال عليه الصلاة والسلام (ياكم والذنوب التي لا تغفر الغلول، فمن غل شيئاً يأتي به يوم القيامة، وأكل الربا، فإن أكل الربا لا يقوم إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس)^(٤).

(١) أحكام النقود في الشريعة الإسلامية ص ٥٤.

(٢) بحوث في الربا الإمام محمد أبو زهرة دار الفكر العربي-مصر- ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ص ١٥.

(٣) أخرجه ابن ماجة في السنن (٧٦٣/٢).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ٧٣٣/٢، والترمذي في الترغيب والترهيب ٥/٣.

المطلب السادس

شُبّه تبرير الربا والرد عليها

سوف أذكر في هذا المطلب الشبه التي قيلت في تبرير الربا، وهي شبه لا قيمة لها، ولكن خشية أن يندفع بها أحد ، وهي كالتالي:

١. دعوى أن الربا هو المضاعف:

زعم بعض المعاصرين أن المحرم إنما هو المضاعف دون البسيط لظهور الاستغلال فيه، وبنوا هذا الزعم على أن سورة آل عمران التي فيها: $M \circ \gg \frac{1}{4}$ $\frac{1}{2}$ $\frac{3}{4}$ $L \bar{A} \bar{A}$ ^(١) نزلت بعد سورة البقرة فكانت آيات الربا في سورة البقرة منسوخة بآية آل عمران، وقالوا: إن النهي منصبٌ على الربا المضاعف ومفهوم المخالفة يقتضي أنه إذا لم يكن الربا أضعافاً مضاعفة فلا نهي فيه.

وبالنظر في النصوص الواردة في الربا يتبين أنه لا يوجد هناك ربا محرم وآخر غير محرم، فكل الربا حرام قليله وكثيره، وهذه الدعوى لا تعدو شبهة منبوذة.

وآية الربا المضاعف ليست كما يزعمون أنها آخر ما نزل بخصوص الربا، بل آخر ما نزل فيه ^(٢) هي آية الربا في سورة البقرة كما أخرجه البخاري عن ابن عباس ^(٣).

قال الحافظ ابن حجر: المراد بالآخيرية في الربا تأخر نزول الآيات المتعلقة به في سورة البقرة، وأما حكم تحريم الربا فنزوله سابق لذلك بمدة طويلة على ما يدل عليه قوله

تعالى في آل عمران في أثناء قصة أحد: $M \circ \gg \frac{1}{4}$ $\frac{1}{2}$ $\frac{3}{4}$ L ^(٤).

(١) آل عمران/١٣٠.

(٢) إن لم تكن آخر آية نزلت في القرآن كله، وقد روي أنه ﷺ لم يعش بعدها إلا إحدى وعشرين وقيل سبعاً وقيل تسع ليال. انظر فتح الباري ٢٠٥/٨، وقد روى ابن جرير الطبري في تفسيره (١١٤/٣) عن عمر وابن عباس ﷺ أن من آخر آيات القرآن نزولاً آيات الربا.

(٣) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ٢٠٥/٨.

(٤) آل عمران: من الآية ١٣٠.

ثم أن وصف الآية لنوع من أنواع الربا الذي كان متبعاً في ذلك الحين لا يدل على جواز ما عداه، فالقرآن إنما يصف المنهي عنه بأشنع أحواله وأشد ما يؤدي إليه تفسيراً عن المعاملة به.

٢. دعوى جواز الربا إذا كان عن تراض:

لقد زعم بعض المعاصرين أيضاً أن قوله تعالى **F E D C B A M** **L G**^(١) يدل على جواز الربا إذا كان عن تراض، وهذا زعم باطل فالتراضي المشروط في الآية إنما هو فيما أحله الله من البيع وليس فيما حرمه من الربا ونحوه، بل إن الشروط في العقود لا يعتبر منها إلا ما لم يخالف حكم الله بخلاف ما خالف حكم الله فلا يصح.

٣. دعوى أن البيع مثل الربا:

لقد حكى الله ذلك عن العرب في الجاهلية، وأصحاب هذه الدعوى يقولون: إنه لا فرق بين أن يأخذ الزيادة في الحال أو في المستقبل، وهي دعوى باطلة إذ إن الزيادة في البيع تكون في مقابل الخدمة والتهيئة التي يقوم بها صاحب السلعة، فكان من حقه أن ينال الزيادة مقابل الجهد الذي بذله، بخلاف الربا فإن الزيادة فيه في مقابل التأجيل لا في مقابل العمل التأجيل لا في مقابل العمل.

وهناك فروق أساسية بين البيع والربا من الناحية الخلقية والاقتصادية منها:

أولاً: إن تبادل المنافع بين المتبايعين يحصل على وجه سوي، وبالعكس من ذلك في المعاملة الربوية لا يحصل تبادل للمنافع على وجه سوي بين الدائن والمدين. ثانياً: إن ما يربحه البائع في البيع إنما يناله مرة واحدة، وأما الربا الذي يناله الدائن من المدين فينتكر كلما تكررت المدة.

(١) النساء/٢٩.

ثالثاً: إن الإنسان في التجارة والصناعة والزراعة يبذل كفاءته ووقته ثم ينال أجرهما ويحصل على الربح، وأما في المعاملة الربوية فإنه يصبح المساهم الأكبر في كسب غيره بدون بذل جهد أو وقت.^(١)

٤. وقد زعم بعض الكتاب أن ما حرمه الإسلام من أنواع الربا هو الاستهلاكي والمضاعف لأن الاستغلال فيهما واضح، فهو عمل غير أخلاقي لأنه يستغل حاجة الناس إلى المصالح الضرورية التي لا غنى لهم عنها، بالإضافة إلى ما ينتجه الربا المضاعف من آثار اقتصادية واجتماعية سيئة. وحجة هؤلاء أن الربا الاستهلاكي هو الذي كان معروفاً أيام بعثه الرسول عليه السلام ونزول القرآن، لأن الربا الإنتاجي - في زعمهم - لم يعرف إلا بعد ذلك فالتحريم لم يقع إلا على الأول.

ويرد على هؤلاء من عدة وجوه:

١. من حيث النصوص: حين نستعرض النصوص التي بين أيدينا حول الربا نجد أن الآيات القرآنية والأحاديث تتضافر على تحريم الربا بأنواعه جميعاً دون أن يخص نوعاً دون آخر.

يقول الله تعالى: M ! " # \$ % & ' () * + ,

- / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; L^(٢) ويقول أيضاً:

M يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا

.. © ª « ® ¯ ° ± ² ³ µ ¶ L^(٣) كما

يقول: M ° » ¼ ½ ¾ ن Æ Å Ä Ã Ä À

Ç L^(٤) المضاعف في إحدى الآيات ليس إلا للتأكيد عليه لما فيه من استغلال

فاضح ولا أخلاقية.

(١) ينظر الربا . أبو الأعلى المودودي. تعريب محمد عاصم الحداد. دار الفكر - دمشق ص ٨

- ٢١ (بتصرف)

(٢) البقرة: ٢٧٥.

(٣) البقرة: ٢٧٨ - ٢٧٩.

(٤) آل عمران: ١٣٠.

٢. أما من الناحية التاريخية التي يحتج بها البعض، فالواقع عكس ما يقولونه، لأن معظم القروض الربوية التي كانت سائدة عند العرب في الجاهلية هي من النوع الإنتاجي، فالمعروف عن العرب في مكة قبل الإسلام أنهم كانوا يقومون بالأعمال التجارية، ويسهلون نقل البضائع من وإلى الشام والحجاز واليمن وفارس، والأعمال التجارية تحتاج إلى أموال موفورة، فكان التجار يعملون بأموالهم وأموال غيرهم، وغالباً ما كانوا يعطون من يقرضهم نسبة ثابتة من الربح.

وأهل الطائف كانوا يعملون في الزراعة، وكانوا يقترضون من أصحاب الأموال في مكة ومن الجالية اليهودية التي كانت تسكن الطائف آنذاك، وكانوا يردون هذه الأموال بعد جني محاصيلهم مع نسبة من الربح. وإذن فقد كانت القروض الإنتاجية معروفة ومنتشرة لدى العرب، وإنما لنتساءل هل كان العربي في الجاهلية يحتاج إلى قروض استهلاكية، أي قروض ينفقها على طعامه وطعام عياله؟ إن الاقتراض من أجل الاستهلاك نادر في بيئة قبلية ذات مطالب بسيطة ومحدودة ومن هذا نرى أن الربا الذي كان منتشراً آنذاك هو الربا الإنتاجي أكثر من الاستهلاكي، وقد ورد التحريم عليهما معاً.

٣. ثم أن النظام الاقتصادي الإسلامي جاء نظاماً فريداً متميزاً، ومن جملة ما يتميز به هذا النظام أنه لم يقر التعاملات الربوية سواء في دائرة الإنتاج أو في مجال الاستهلاك.

وإذا حاولنا التعرف على حكمة تحريم الربا في الإسلام فإن هذه الحكمة تبدو واضحة في منع الربا الاستهلاكي لأنه استغلال غير إنساني لحاجة الإنسان إلى أسباب معاشه الضرورية، ولأنه يهدر كثيراً من المعاني الأخلاقية، كما يقضي على كثير من مقومات المجتمع المتماسك المتعاون.

أما حكمة تحريم الربا على القروض الإنتاجية فلعلنا لا نستطيع أن نكتشفها كلها، إلا أننا نعرض لبعض ما تثبته الوقائع من الآثار السيئة التي تتخلف عنه. هذه الآثار تلاحظ بالنسبة للمرابي، وبالنسبة لكل من المنتج والمستهلك.

فقد ترتب على ظهور القروض الربوية الإنتاجية في القرون الثلاثة الأخيرة أن ظهرت المؤسسات المصرفية (البنوك) واتسعت، والمعروف أن هذه المؤسسات لا تعمل بمال أصحابها فقط وإنما تعمل بأموال المودعين أيضاً، وكثيراً ما يكون رأسمال هذه

البنوك صغيراً جداً في بدء تأسيسها، ولكنها سرعان ما تمتلئ بأموال المودعين، وربح البنك من هذه الأموال كبير، فهو يعطي المودعين من الربح نسبة تقل كثيراً عن النسبة التي يقرض بها هذه الأموال، وهكذا يتضاعف ربح البنك وماله على حساب أموال المودعين. أضف إلى ذلك أن البنوك في العالم تميل إلى التمرکز، بمعنى أنه وجدت بنوك قليلة استطاعت بإمكانيتها أن تسيطر على الأسواق المصرفية في العالم، وعن طريق هذه السيطرة أمكن لها أن توجه السياسة والاقتصاد وأن تتدخل في كثير من الأمور وغالباً ما يكون معظم رجال هذه البنوك الضخمة من اليهود.

أما بالنسبة إلى المنتج، فإنه حين يقترض بفائدة يضيفها على مجموع تكاليف السلعة ليرفع سعرها، فإذا استدان بفائدة قدرها ١٠% فيرفع سعر البضاعة بمقدار الفائدة على الأقل وسيدفع المستهلك هذه الفائدة.

وإذا حدث أن زاد الإنتاج - نتيجة لسهولة القروض الإنتاجية - عن حاجة السوق، فسيحدث فائضاً في البضاعة، ونتيجة لذلك يحصل كساد تتولد من نتيجته أزمة اقتصادية، مما يدفع المنتج إلى إيقاف التوسع في الإنتاج والتقليل من مصاريفه، فيعمد إلى تخفيض الأجر أو تسريح العمال، فتحصل البطالة، وفي كلتا الحالتين تتحمل الطبقة العاملة والمتوسطة آثار هذه الأزمة فتتخفف القوة الشرائية وتزداد الأزمة الاقتصادية تحكماً. وقد يعمد المنتج إلى تخفيض أسعار المواد الأولية، التي تزد غالباً من البلاد النامية التي تبدأ تطورها الاقتصادي من أوله، والتي تعتمد على مواردها من هذه المواد لبناء كيانها الاقتصادي.^(١)

المطلب السابع

الغرب والفائدة والأزمة المالية العالمية المعاصرة

إن الدارسَ والمحللَ للنظم الاقتصادية المطبقة في العالم يجدها تسير في النهج الاشتراكي أو الرأسمالي أو خليط منهما معاً وكل هذا يطبق على أساس الفصل بين الاقتصاد والقيم الإيمانية مما ترتب عليه التخلف والحياة الضنك ومحق البركة وختمت

(١) معالم الثقافة الإسلامية. د. عبد الكريم عثمان. مؤسسة الرسالة. ط ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

بالإعصار المالي الذي خرب كل المؤسسات المالية على مستوى العالم وأخذت حالة من الهلع والخوف والاضطراب.

في مناخ الأزمة انطلقت أصوات في الغرب تنادي بتطبيق أسس في الاقتصاد الإسلامي بعد فشل النظم الوضعية في تحقيق الحياة الرغدة بشقيها المادي والمعنوي للناس.

ومن هؤلاء:

١. بوفيس فانسون رئيس تحرير مجلة (تشالينجز) ٤/١٠/٢٠٠٩هـ الموافق ٥/١٠/٢٠٠٨ في افتتاحية مجلة تشالينجز كتب بوفيس فانسون رئيس تحريرها موضوعاً بعنوان (البابا أو القرآن) أثار موجة عارمة من الجدل وردود الأفعال في الأوساط الاقتصادية.

فقد تساءل الكاتب فيه عن أخلاقية الرأسمالية؟ ودور المسيحية كديانة والكنيسة الكاثوليكية بالذات في تكريس هذا الوازع والتساهل في تبرير الفائدة، مشيراً إلى إن هذا السلوك الاقتصادي السيئ أودى بالبشرية إلى الهاوية.

وتساءل الكاتب بأسلوب يقترب من التهكم عن موقف الكنيسة ومستسماً البابا بنديكيت السادس عشر قائلاً أظن أننا بحاجة أكثر في هذه الأزمة إلى قراءة القرآن بدلاً من الإنجيل لفهم ما يحدث بنا وبمصارفنا لأنه لو حاول القائمون على مصارفنا احترام ما ورد في القرآن من تعاليم وأحكام وطبقوها ما حل بنا ما حل من كوارث وأزمات وما وصل بنا الحال إلى هذا الوضع المزري؛ لأن النقود لا تلد النقود.

٢. رولان لاسكين رئيس تحرير صحيفة (لوجورنال دي فاينانس) (بضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية في المجال المالي والاقتصادي لوضع حد لهذه الأزمة التي تهز أسواق العالم من جراء التلاعب بقواعد التعامل والإفراط في المضاربات الوهمية غير المشروعة.

وفي مقاله الذي جاء بعنوان ((هل تأهلت وول ستريت لاعتناق مبادئ الشريعة الإسلامية؟))، عرض لاسكين المخاطر التي تحق بالأسماوية وضرورة الإسراع بالبحث عن خيارات بديلة لإنقاذ الوضع، وقدم سلسلة من المقترحات المثيرة في

مقدمتها تطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية برغم تعارضها مع التقاليد الغربية ومعتقداتها الدينية.

٣. وحسب موقع الجزيرة نت فقد دعي مجلس الشيوخ الفرنسي إلى ضم النظام المصرفي الإسلامي للنظام المصرفي في فرنسا وقال المجلس في تقرير أعدته لجنة تعنى بالشؤون المالية في المجلس أن النظام المصرفي الذي يعتمد على قواعد مستمدة من الشريعة الإسلامية مريح للجميع سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، وأكد التقرير الصادر عن اللجنة المالية لمراقبة الميزانية والحسابات الاقتصادية للدولة بالمجلس أن هذا النظام المصرفي الإسلامي الذي يعيش ازدهاراً واضحاً قابل للتطبيق في فرنسا.

٤. وفي استجابة - على ما يبدو لهذه النداءات، أصدرت الهيئة الفرنسية العليا للرقابة المالية - وهي أعلى هيئة رسمية تعنى بمراقبة نشاطات البنوك - في وقت سابق قراراً يقضي بمنع تداول الصفقات الوهمية والبيوع الرمزية التي يتميز بها النظام الرأسمالي واشترط التقابض في أجل محدد بثلاثة أيام لا أكثر من إبرام العقد، وهو ما يتطابق مع أحكام الفقه الإسلامي.

٥. وتتوالى شهادات عقلاء الغرب ورجالات الاقتصاد للتنبيه إلى خطورة الأوضاع التي يقود إليها النظام الرأسمالي الليبرالي على صعيد واسع وضرورة البحث عن خيارات بديلة تصب في مجملها في خانة البديل الإسلامي، ففي كتاب صدر مؤخراً للباحثة الإيطالية لوريتا نابليون بعنوان (اقتصاد ابن آوى) أشارت فيه إلى أهمية التمويل الإسلامي ودوره في إنقاذ الاقتصاد الغربي، واعتبرت نابليون أن (مسؤولية الوضع الطارئ في الاقتصاد العالمي والذي نعيشه اليوم ناتج عن الفساد المستشري والمضاربات التي تتحكم بالسوق والتي أدت إلى مضاعفة الآثار الاقتصادية)، وأضافت أن (التوازن في الأسواق المالية يمكن التوصل إليه بفضل التمويل الإسلامي بعد تحطيم التصنيف الغربي الذي يشبه الاقتصاد الإسلامي بالإرهاب، ورأت نابليون أن التمويل الإسلامي هو القطاع الأكثر ديناميكية في عالم المال الكوني. وأوضحت أن (المصارف الإسلامية يمكن أن تصبح البديل المناسب للبنوك

الغربية، فمع انهيار البورصات في هذه الأيام وأزمة القروض في الولايات المتحدة فإن النظام المصرفي التقليدي بدأ يظهر تصدعاً ويحتاج إلى حلول جذرية عميقة.

٦. ومنذ عقدين من الزمن تطرق الاقتصادي الفرنسي الحائز على جائزة نوبل في الاقتصاد (موريس آلي) إلى الأزمة الهيكلية التي يشهدها الاقتصاد العالمي بقيادة الليبرالية المتوحشة معتبراً أن الوضع على حافة بركان، ومهدداً بالانهيار تحت وطأة الأزمة المضاعفة (المديونية والبطالة) واقترح للخروج من الأزمة وإعادة التوازن شرطين هما تعديل معدل الفائدة إلى حدود الصفر ومراجعة معدل الضريبة إلى ما يقارب ٠/٠٢ وهو ما يتطابق تماماً مع إلغاء الربا ويقارب نسبة الزكاة ٢,٥ % في النظام الإسلامي.

ثم إن وصف الآلية لنوع من أنواع الربا الذي كان متبعاً في ذلك الحين لا يدل على جواز ما عداه، فالقرآن إنما يصف المنهي عنه بأشنع أحواله وأشد ما يؤدي إليه تنفيراً عن المعاملة به.

الخاتمة وفيها نتائج البحث

يتبين لنا مما تقدم إن القرآن معجز من كل الوجوه ومن هذه الوجوه الإعجاز الاقتصادي فالقرآن جاء بتشريعات لإصلاح المجتمع والفرد، ودفع المفسد عنهم، ومن هذه التشريعات تحريم الربا .

إن القرآن الكريم قد حرم الربا ومنع الناس من التعامل به، لما فيه من الظلم و أكل أموال الناس بالباطل، وهذا ما كان يدركه المسلمون في صدر الإسلام، وأما اليوم فإن العلماء والخبراء الاقتصاديين يدركون أضرار الربا وآثاره ومفاسده الجسيمة على الاقتصاد والمجتمع والفرد. مما يؤكد أن تشريع الله عز وجل في الربا معجز ولا يستطيع أحد أن يأتي بمثله، مما يدل دلالة قاطعة على أن هذا التشريع من عند الله العظيم الخبير.

لذا وجب على المسلمين تجنب التعامل الربوي التزاماً بالمنقول من الشريعة بهذا الخصوص، وإدراكاً للمعقول، لأن في هذا درء مفسد كثيرة وجلب مصالح واقعية وملموسة.

وأختم كلامي ببناء قرآني عظيم . 7 M8 < = > ?

@ A B C D E F G H I J K

Z Y X WVU TS R QPO N M
e dc b a ` _ ^] \ [
Lf

التوصيات والمقترحات

تأسيساً على ما سبق ذكره فإن المطلوب منا نحن المسلمين وعلماء الاقتصاد أن نستغل هذه الفرصة ونجعلها في صالح المسلمين ونشر الإسلام، ويجب أن يقوم مجموعة من الباحثين المسلمين وعلماء الاقتصاد في العالم الإسلامي بالاشتراك مع جميع المنظمات والحكومات الإسلامية ببيان وتوضيح أضرار الربا وأخطاره الخاصة والعامة، وعندما يقتنع الغرب بهذا الحل فإنهم سرعان ما يطبقونه لأنهم يغرقون في الخسارة والانهيارات، وعند نجاح هذه الخطة في حل هذه الأزمة سوف يعيد الغرب التفكير والنظر في تطبيق الشريعة الإسلامية واستخدامها في باقي المجالات كالقوانين الجنائية والميراث وغيرها.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم
٢. آراء ومفاهيم حول البنوك الإسلامية. عبد السميع المصري، رسالة البنك الإسلامي، الاقتصاد الإسلامي، المجلد الأول-العدد ٣ سنة ١٤٠٢
٣. أحكام النقود في الشريعة الإسلامية. محمد سلامة-مطبعة الفيصل-١٤٢٣هـ-٢٠٠٢.
٤. آراء ومفاهيم حول البنوك الإسلامية. عبد السميع المصري، مجلة رسالة البنك الإسلامي، الاقتصاد الإسلامي، المجلد الأول-العدد ٣ سنة ١٤٠٢.
٥. الأصول العامة للاقتصاد الإسلامي. د.غازي عناية. دار الجيل -بيروت، ط١- ١٩٩١ .
٦. بحوث في الربا. الإمام محمد أبو زهرة. دار الفكر العربي-مصر ١٤٢٠هـ ١٩٩٩ .
٧. البنك الإسلامي بنك تنمية اجتماعية واقتصادية. عبد السميع المصري. الاقتصاد الإسلامي. المجلد الأول، العدد الرابع ١٤٠٢هـ.
٨. تبين الحقائق. الزيلعي. دار الكتب العلمية-بيروت. ط١ ١٤٢٠هـ-٢٠٠٢
٩. التدابير الوقائية من الربا في الإسلام. فضل الهي. إدارة ترجمان باكستان. ط٤ ١٤٢٠هـ.
١٠. تفسير ابن كثير. ط مطبعة السعادة-القاهرة.
١١. تفسير آيات الربا. سيد قطب. مفاهيم اقتصادية-دار البحوث العلمية د(ط.ت).
١٢. التكافؤ الاقتصادي بين الربا والتورق. سامي بن إبراهيم سويلم. الاقتصاد الإسلامي عدد ٢٧٤ سنة ١٤٢٥هـ.
١٣. التورق المصرفي في نظر التحليل المحاسبي والتقويم الاقتصادي. حسين حسين شحاتة. الاقتصاد الإسلامي ١٤٢٥، ٢٧٤هـ .
١٤. الجامع الصغير. الإمام السيوطي. الباب الحلي- مصر، ط٤ ١٩٥٤ م.
١٥. خطوط رئيسة في الاقتصاد الإسلامي. محمود أبو السعود. مطبعة معتوق-بيروت- لبنان. ط١ ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م.

١٦. الربا وأثره على المجتمع الإنساني. عمر سليمان الأشقر. دار النفائس - عمان - الأردن ط ٣، ١٤٢٣هـ.
١٧. الربا. محمد أبو زهرة. دار الفكر العربي - مصر ١٩٩٩م.
١٨. الربا. لأبي الأعلى المودودي. تعريب محمد عاصم حداد. دار الفكر العربي - دمشق د(ط.ت).
١٨. الربا وفائدة رأس المال بين الشريعة الإسلامية والنظم الوضعية. فتحي السيد لاشين. دار التوزيع والنشر الإسلامية. القاهرة، ١٩٩٠.
١٩. ضوابط تنظيم الاقتصاد في السوق الإسلامي. د. غازي عناية. دار النفائس - عمان ط ١ ١٩٩٢ م.
٢٠. العقبات والصعوبات التي تحول بين البنوك الإسلامية وتحقيق التنمية. موسى شحاتة. الاقتصاد الإسلامي، العدد ٢٧٢ سنة ١٤٢٤هـ.
٢١. الفائدة الربوية وقود التضخم النقدي وليس تعويضا عنه. حسين حسين شحاتة. الاقتصاد الإسلامي. دار التوزيع والنشر الإسلامي. القاهرة ١٩٩٠.
٢٢. الفوائد الربوية رأس المال بين الشريعة الإسلامية والنظم الوضعية. فتحي السيد لاشين. دار التوزيع والنشر الإسلامية. القاهرة ١٩٩٠.
٢٣. لسان العرب لابن منظور. دار صادر - بيروت ط ١ منقحة.
٢٤. مباحث في علوم القرآن. مناع القطان. الرسالة - بيروت - لبنان ط ٣٥ ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.
٢٥. مبادئ الاقتصاد الكلي. د. صالح خصاونة. المكتبة الوطنية ط ٢ ١٩٨١.
٢٦. مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج. للشيخ شمس الدين محمد بن محمد الخطيب الشربيني. دار المعرفة - بيروت، ط ٢. ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.
٢٧. المغني مع الشرح الكبير لابن قدامة المقدسي الحنبلي. تحقيق د. محمد شرف الدين خطاب. د.م السيد محمد السيد. دار الحديث - القاهرة. ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.
٢٨. موطأ الإمام مالك. عيسى البابي الحلبي - مصر. ط ٢.

٢٩. من الإعجاز العلمي إلى الإعجاز الاقتصادي. رفيق يونس المصري. مركز
أبحاث الاقتصاد الإسلامي - جامعة الملك عبد العزيز.
٣٠. النظرية الاقتصادية. الجزء الأول - التحليل الاقتصادي الجزئي. احمد جامع.
دار النهضة العربية - القاهرة. ط٥، ١٩٨٦.